

فقه خطبة الجمعة في السياق الأوروبي



IJTHAD CENTER
FOR STUDIES AND TRAINING

الأستاذ سليمان و اكيك إدريسي¹

* كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

جامعة ابن طفيل - القنيطرة

selaiman1987@gmail.com

OPEN ACCESS

تاريخ الاستلام: 5 غشت 2024

تاريخ التعديل: 28 سبتمبر 2024

تاريخ القبول: 20 أكتوبر 2024

المعرف الرقمي: DOI: 10.5281/zenodo.14584129

الملخص:

يتناول هذا البحث فقه خطبة الجمعة في سياق فريد ومختلف، هو السياق الأوروبي، حيث تتشابك الحضارات وتتلاقى الثقافات، وتتنوع الخلفيات، لتكتسب خطبة الجمعة أهمية إضافية، وتصبح بمثابة المنبر الذي نطل منه على واقعنا ونعالج قضاياها، ونبني جسور التواصل مع مجتمعاتنا، ونعزز هويتنا الإسلامية.

وقد تم تقسيم هذه المقالة إلى خمسة مباحث، المبحث الأول منها خصص لخطبة الجمعة وأهميتها في الإسلام والسياق الأوروبي، والمبحث الثاني لوظائف خطبة الجمعة في السياق الأوروبي، والمبحث الثالث لسمات خطبة الجمعة الفعالة في السياق الأوروبي، والمبحث الرابع لمقترحات لتطوير خطبة الجمعة في السياق الأوروبي، والمبحث الخامس للدراسة الميدانية.

الكلمات المفتاحية:

الفقه الإسلامي؛ خطبة الجمعة؛ مؤسسة المسجد، السياق الأوروبي؛ الإسلام الأوروبي.

¹ الأستاذ المشرف: أ. د. الحسن العلمي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن طفيل - القنيطرة

مقدمة¹

في رحاب القارة الأوروبية، حيث تتلاقى الحضارات وتتداخل الثقافات، يبرز المسلمون بحسبانهم أحد مكونات المجتمعات الأوروبية، حاملين معهم هويتهم وثقافتهم ودينهم الحنيف. وتعد خطبة الجمعة من أهم المنابر التي تخاطب هذه الروح الإسلامية، وتعزز قيمها، وتوجهها في خضم التحديات المعاصرة التي تواجههم في أوروبا.

تشكل خطبة الجمعة في أوروبا رحلة أسبوعية يقطعها المسلمون، يتجمعون فيها ليستمعوا إلى خطيب ينير درهم بآيات من القرآن الكريم، وأحاديث نبوية شريفة، ونصائح تعينهم على مواجهة صعوبات الحياة في الغربية.

لكن ماذا عن خطبة الجمعة في سياق خاص مثل السياق الأوروبي؟ كيف تصبح هذه الخطبة أداة فاعلة للتوجيه والتواصل، وتعزيز الهوية الإسلامية، وبناء جسور التواصل بين المسلمين وغير المسلمين؟ وكيف يمكن للخطيب أن يؤدي دوره الديني والاجتماعي والثقافي وسط هذا السياق ذي الارتباطات الثقافية المشحونة والمتداخلة؟ وكيف يمكن له أن يطور ذاته المعرفية في مختلف أبعادها بما يسهم في انفتاحه على هذا السياق، ويضمن تأثيره فيه بشكل إيجابي وفعال؟

أسئلة وغيرها يأتي هذا البحث ليسلط الضوء عليها، قاصدا في المقام الأول بيان وظائف خطبة الجمعة، وسماتها، وسبل تطويرها، لتصبح خطابا فاعلا ومؤثرا، يُسهم في بناء جيل واع بإمكانيته وقدراته في التعامل بشكل إيجابي مع السياق الأوروبي، ويضمن سلاسة اندماجه فيه، وبما يكفل استثمار طاقاتهم ومواهبهم في تقديم دين الإسلام بما هو عليه من رحمة ومحبة، وتسامح وانفتاح إيجابي على كل مشترك إنساني من شأنه

¹ To cite this article:

IDRISSI, Selaiman Wagueg, *Jurisprudence of the Friday Sermon in the European Context*, Ijtihad Journal for Islamic and Arabic Studies, Ijtihad Center for Studies and Training, Belgium, Vol. 1, Issue 2, December 2024, 113-147.

سليمان واكيك إدريسي، فقه خطبة الجمعة في السياق الأوروبي، مجلة اجتهاد للدراسات الإسلامية والعربية، مركز اجتهاد للدراسات والتكوين، بلجيكا، مج. 1، ع. 2، ديسمبر 2024، 113-147.

© This research is published under the (CC BY-NC 4.0) license, which permits anyone to download, read, and use it for free, provided that the original author is credited, any modifications are indicated, and it is not used for commercial purposes.

أن ينهض بالدول التي يوجدون فيها، وبما يحقق كينونتهم وذواتهم، وبما يضمن ترشيدهم واقعهم وحاضرهم ومستقبلهم.

ولمقاربة أمثل لهذه الإشكالات تم اعتماد المنهج التحليلي النقدي، وذلك بتحليل ونقد طبيعة السياق الأوروبي، ومهام ووظائف وسمات خطبة الجمعة فيه.

والأهمية هذا الموضوع وراهنيته التي تزداد توقدا مع الاضطرابات التي تشهدها أوروبا، والأنظار التي صارت موجهة للأقليات المسلمة، وانتشار ظاهر الإسلاموفوبيا، ارتأيت الكتابة في هذا الموضوع، وذلك بغرض تقديم حلول عملية من شأنها تيسير مهمة الإمام والخطيب في ظل هذا السياق المتقلب. وقد تناولت ذلك في خمسة مباحث، خصصت المبحث الأول لخطبة الجمعة وأهميتها في الإسلام والسياق الأوروبي، أما المبحث الثاني، فقد جعلته لوظائف خطبة الجمعة في السياق الأوروبي، ليأتي المبحث الثالث لتحديد سمات خطبة الجمعة الفعالة في السياق الأوروبي، أما المبحث الرابع، فقد خصصته لتقديم مقترحات لتطوير خطبة الجمعة في السياق الأوروبي. وختمت بمبحث أخير عن الدراسة الميدانية وما تضمنته من قضايا لها تعلق وصلة بالمباحث السابقة.

المبحث الأول: خطبة الجمعة وأهميتها في الإسلام والسياق الأوروبي

أولاً: التعريف بخطبة الجمعة وحكمها وأركانها وشروطها

- تعريف الخطبة

لغة: الخطبة: "بضم الخاء، ما يقال على المنبر، يقال خطب على المنبر خطبة، وهي بضم الخاء وخطابة"¹. وفي القاموس "...وَحَطَبَ الخاطب على المنبر حَطَابَةً بالفتح، وحُطِبَ بالضم، وذلك الكلام حُطْبَةٌ أيضاً، أو هي الكلام المنثور المُسَجَّع ونحوه، ورجل حَطِيبٌ حسن الحُطْبَةِ بالضم"².

¹ عبد العزيز بن محمد بن عبد الله الحجيلان، خطبة الجمعة وأحكامها الفقهية، ط1، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف-مركز البحوث والدراسات الإسلامية، 2002-1423، ص 16.

² الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مادة (خطب)، تح. مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط8، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1426 - 2005، 81/1.

في الاصطلاح: يقصد بها الخطب التي تلقى على المنابر يوم الجمعة، بقصد حمل الناس على الخير، وترغيبهم فيه، وصرفهم عن الشر ودواعيه، وتبصيرهم بأحوالهم وواقع أمرهم حسب ما يقتضيه أمر الشرع، والخطبة من جانب الخطيب مقدره على التصرف في فنون الكلم مرماها التأثير في نفس السامع، ومخاطبة وجدانه¹.

وعرفها بعضهم: بأنها الكلام المؤلف المتضمن وعظا وإبلاغا، ولكن هذا فيه إجمال. لذلك يمكن أن تعرف على وجه التخصص بأن يقال: إنها فن من فنون الكلام، يقصد به التأثير في الجمهور عن طريق السمع والبصر معا².

- التعريف بالجمعة وسبب تسميتها بذلك

ورد في لسان العرب: "... والأصل فيها التخفيف جُمعة، فمن ثقل أتبع الضمة الضمة، ومن خفف فعلى الأصل، والقراء قرأوا بالثقل، ويُقال: يوم الجُمعة لغة بني عُقيل، ولو قرئ بها كان صوابا، قال: والذين قالوا: الجُمعة ذهبوا بها إلى صفة اليوم....، كما يُقال: رجل هُمزة مُزّة ضُحكة، وهو الجُمعة، والجُمعة والجُمعة... ويُجمع على جُمعات، وجُمع، وقيل: الجُمعة على تخفيف الجُمعة، والجُمعة؛ لأنها تجمع الناس كثيرا، كما قالوا: رجل لُعنة يُكثر لعن الناس، ورجل ضُحكة يُكثر الضحك"³.

وفي مختار الصحاح: "ويوم الجُمعة بسكون الميم، وضمها يوم العروبة، ويُجمع على جُمعات وجُمع، والمسجد الجامع، وإن شئت قلتَ مسجد الجامع بالإضافة، كقولك: حق اليقين، والحق اليقين، بمعنى مسجد اليوم الجامع، وحق الشيء اليقين؛ لأن إضافة الشيء إلى نفسه لا تجوز إلا على هذا التقدير"⁴.

¹ صالح بن عبد الله بن حميد، منهج في إعداد خطبة الجمعة، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، 1419. ص 6.

² خطبة الجمعة وأحكامها الفقهية، ص 17.

³ ابن منظور، لسان العرب، ط3، دار صادر - بيروت، 1414، مادة "جمع"، 58/8.

⁴ زين الدين الرازي، مختار الصحاح، تح. يوسف الشيخ محمد، ط5، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، 1420-1999 مادة جمع، ص 60.

والجمعة اسم من الاجتماع كالفرقة من الافتراق، ويجمع على جموعات وجمع، وكان يقال: له يوم العروبة، وقيل: إن أول من سماه جمعة كعب بن لؤي¹.

وسميت جمعة لاجتماع الناس لها، وقيل: لما جمع في يومها من الخير، وقيل: لأن خلق آدم جمع فيه، أو لاجتماعه فيه مع حواء في الأرض، واسمها القديم في الجاهلية يوم العروبة؛ أي المبين المعظم، وقيل: يوم الرحمة².

ويتميز يوم الجمعة بمكانة عظيمة عند الله تعالى، فهو يوم مبارك حافل بالأحداث الجليلة، حيث فيه خلق آدم عليه السلام، وأدخل الجنة، وفيه تقوم الساعة إيدانا بانتهاء الدنيا وحلول الآخرة. والذي يؤكد خلق آدام فيها قول النبي ﷺ: "خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أهبط من الجنة، وفيه تيب عليه، وفيه تقوم الساعة، وفيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم، وهو قائم يصلي يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه"³.

قال الإمام القراف تعليقا على هذا الحديث: "فوائد ذكر هذه الكائنات فيه في سياق تعظيمه، يدل على عظمها وعظمه. أما عظمها فخلق آدم عليه السلام، وهو المفضل على الملائكة، ومبدأ نوع الإنسان والأنبياء والرسول عليهم السلام، وإن كانت أكثر ذريته من أهل الكفران ووقود النيران، إلا أن ذرة من الإيمان لا يعدلها شيء من الكفران، ولحظة من القرب يغتفر لها هجران الدهر"⁴.

ولذا خص الله هذا اليوم بفضيلة عظيمة، وهي ساعة الإجابة، حيث لا يردّ الله دعاء عبد مسلم يدعوه فيها إلاّ استجاب له. ولم يقتصر فضل يوم الجمعة على ذلك، بل خصه الله بشعيرة فريدة هي صلاة الجمعة، حيث أمر المسلمين بترك تجارتهم والسعي لأدائها عند سماع النداء، لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾⁵.

¹ زهور محمد عبده، فقه الامام البخاري في كتاب الجمعة، الخوف، العيدين، الوتر من جامعه الصحيح. رسالة ماجستير في الفقه، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ص 24.

² بدر الدين الأسدي الشافعي، بداية المحتاج في شرح المنهاج، عنى به: أنور الداغستاني، ط1، دار المنهاج للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية - جدة، 1432 - 2011، 373/1.

³ رواه مسلم في صحيحه، باب فضل يوم الجمعة، رقم (18)، 585/2.

⁴ شهاب الدين القرافي، الذخيرة، تح. محمد حجي، سعيد أعراب، محمد بو خيزة، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994، 328/2.

⁵ سورة الجمعة، الآية 9.

- حكم خطبة الجمعة

اتفق جمهور الفقهاء من المالكية وغيرهم، ولم يخالف في ذلك إلا القليل، على أن الخطبة شرط في الجمعة لا تصح بدونها، وفي هذا يقول الإمام ابن الجلاب: "والخطبة شرط في صحة الجمعة، فإذا صليت بغير خطبة لم تكن جمعة"¹.

والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾²، ووجه الاستدلال من الآية: أن الذكر هو الخطبة، والله تعالى أمرنا بالاهتمام بذكره، والتوجه إليه بدلا من الانشغال بالتجارة، ما يعني أن ذكر الله أهم من أي شيء آخر، حتى من التجارة التي تعد من أهم مصادر الرزق، وأن هناك ذكرا واجبا يجب علينا السعي للقيام به³.

ولأن النبي ﷺ لم يصل الجمعة بدون الخطبة، وقد قال: "صلوا كما رأيتموني أصلي"⁴. ووجه الاستدلال من هذا الحديث أن النبي لم يثبت عنه أن صلى الجمعة بلا خطبة، فكان هذا إلزاما لمن بعده بالسير على هذه الصفة وعدم مخالفتها؛ ولأنها اتصلت بصلاة فرض، فكانت فرضا⁵. ولأن السلف، قالوا: إنما قصرت الجمعة لأجل الخطبة⁶.

- أركان وشروط خطبة الجمعة

قال المالكية: الخطبة لها ركن واحد، وهو أن تكون مشتملة على تحذير أو تبشير، ولا يشترط السجع فيهما على الأصح، فلو أتى بها نظما أو نثرا صح، وندب إعادتها إذا لم يصل، فإن صلى فلا إعادة⁷. أما عن شروطها فقد قال الإمام ابن رشد الحفيد: "اتفقوا على أنها شروط الصلاة المفروضة بعينها: أعني ما عدا الوقت والأذان فإنهم اختلفوا فيهما، وكذلك اختلفوا في شروطها المختصة بها. أما الوقت فإن

¹ ابن الجلاب، التفرع في فقه الإمام مالك بن أنس، عبيد الله بن الحسين بن الحسن أبو القاسم ابن الجلاب المالكي، تح. سيد كسروي حسن، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1428 - 2007، 76/1.

² سورة الجمعة، الآية 9.

³ ينظر: الكساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ط2، دار الكتب العلمية، 1406-1986، 256/1.

⁴ أخرجه البخاري في صحيحه، باب رحمة الناس واليهائم، رقم (6008)، 9/8.

⁵ العمراني، البيان في مذهب الإمام الشافعي، تح. قاسم محمد النوري، دار المنهاج - جدة، 1421 - 2000، 642/2.

⁶ النووي، المجموع شرح المهذب، دار الفكر، 513/4.

⁷ ابن رشد الحفيد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ط4. مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1395-1975، 157/1.

الجمهور اتفق / أجمع على أن وقتها وقت الظهر بعينه: أعني وقت الزوال وأنها لا تجوز قبل الزوال، وذهب قوم: إلى أنه يجوز أن تصلى قبل الزوال، وهو قول أحمد بن حنبل. والسبب في هذا الاختلاف، الاختلاف في مفهوم الآثار الواردة في تعجيل الجمعة¹.

أما على وجه التفصيل عند المالكية، فشروطها عندهم، تنقسم إلى شروط وجوب وأداء. وفي هذا يقول الإمام ابن الحاجب: "شروط وجوبها: الذكورية، والحرية، والإقامة، والقرب بحيث لا يكون منها في وقتها على أكثر من ثلاثة أميال على الأصح، وهو المقدار الذي يبلغه الصوت الرفيع، والمعتبر طرف البلد، وقيل: المسجد، وقيل: على ستة، وقيل: بريد، والميل ألفا ذراع على المشهور. وشروط أدائها: إمام، وجماعة، وجامع، وخطبة، وتجب إقامتها بالتمكن من ذلك، ولا يشترط إذن السلطان على الأصح، وفي كون الإمام مقيماً، ثالثاً: إن كان المسافر مستخلفاً صحت، وفيها: إذا مر الإمام المسافر بقية جمعة فليجمع بهم، ولا تجزى الأربعة ونحوها، ولا بد ممن تتقرب بهم قرية من الذكور الأحرار بموضع يمكن الثواء فيه من بناء متصل أو أخصاص، مستوطنين على الأصح"².

ثانياً: السياق الأوروبي وتحدياته بالنسبة للمسلمين

يعرف واقع الحضور الاسلامي في أوروبا، جملة من التحديات والإشكالات التي أضحت تواجه المسلمين في السياق الأوروبي، وتفرض عليهم عدداً من الرهانات المتشابكة والخيارات الصعبة، حيث يعيش المسلمون في أوروبا في سياق حضاري وثقافة غربية تختلف في مبادئها وقيمها عن الثقافة الإسلامية، بالإضافة إلى تحديات اجتماعية وسياسية متعلقة بالهوية والاندماج التي قد تؤثر على محتوى الخطبة وأسلوب طرحها. ولمواجهة هذه التحديات، يجب العمل على تطوير خطاب ديني يتناسب مع السياق الأوروبي، وتعزيز التواصل والحوار بين المسلمين وغير المسلمين، وضرورة العمل الجماعي من جميع أفراد المجتمع لمواجهة التحديات وبناء مستقبل أفضل للمسلمين في أوروبا، مع مراعاة تنوع تجاربهم وخلفياتهم المتنوعة.

وتحتاج خطبة الجمعة في البلاد الأوروبية إلى رؤية جديدة، وتصور مختلف عما هو عليه حالها في البلاد الإسلامية، "فالإمام أو الخطيب في السياق الأوروبي تتحدد وظيفته في المفهوم التقليدي في إمامة الصلوات

¹ المصدر السابق نفسه، 160/1.

² ابن الحاجب، جامع الأمهات، تج. أبو عبد الرحمن الأخضر الأضرعي، ط2، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، 1421 - 2000، ص 122.

الخمس وإلقاء خطب الجمعة، وتدريس الدين الإسلامي، والإشراف على بعض المناسبات المهمة كالولادة والزواج والوفاة، بالإضافة إلى الرد على أسئلة الناس وتقديم الاستشارات الدينية، غير أن وظيفة الإمام في المهجر أوسع، ودوره في المجتمع يتعدى ما هو ديني إلى ما هو اجتماعي، حيث يلجأ المؤمنون، وذلك للتخلص ولو للحظات من العالم الخارجي¹. الشيء الذي يدفعنا بالضرورة إلى الحرص والعمل بمقاربة تشاركية وفعالة من أجل ترتيب أولوياتنا حسب ما تقتضيه مصالحنا الدينية، والتي يقتضيه وجودنا الإسلامي في السياق الأوروبي.

ثم إن أوروبا اليوم نسيج متداخل ومفكك، مجتمع مغاير في تنوعه وثقافته وأعرافه ونظمه وقوانينه عن المجتمعات العربية الإسلامية، مع نوازل ليس لها نظير، وتشابك واختلاف محمود ومذموم بين مكونات الوجود الإسلامي، وينضاف إلى كل هذا مأساة الضعف المعرفي بالواقع المعرفي للمجتمعات الأوروبية، والتراكمات التي أفرزت لنا هذه اللحظة الراهنة التي نعيش فيها اليوم نحن أبناء الجيل الثاني والثالث من الشباب المسلم الذي وجد نفسه وسط هذا السياق، والأشد والأمر من كل هذا أن يكون الأئمة والمرشدون على إمام هزيل وضحل بالعلوم الإسلامية وبعض المباحث الأساسية في العلوم الإنسانية من علمي النفس والاجتماع، مع ضعف تصورهم للواقع الأوروبي بفلسفته وجذوره التاريخية وأفكاره وقيمه.

فنحن نعيش اليوم في زمن تتسارع فيه التغيرات وتتعدد فيه الأفكار والثقافات، ما يلقي على عاتق الخطيب مسؤولية إيصال الخطاب الإسلامي الصحيح بلغة مفهومة ومقنعة، لذلك يجب عليه أن يدرك السياق الذي يعيش فيه المسلمون في أوروبا، وأن يحدد احتياجاتهم وتطلعاتهم حتى يتمكن من اختيار المحتوى والأسلوب المناسبين لخطبته.

ثالثاً: أهمية خطبة الجمعة بوصفها أداة للتوجيه والتواصل في السياق الأوروبي

إن خطبة الجمعة شعيرة من شعائر الإسلام خص الله المسلمين بها دون غيرهم، ولأهمية هذه الخطبة أمر الله بالسعي إليها. ولأهميتها ومكانتها في السياق الأوروبي بشكل خاص، باعتباره سياقاً متنوعاً، يشكل المسجد فيه منارة للإمام، ونورا للعلم، ورمزاً للتواصل والحوار، بعيداً عن كونه مجرد مبنى مغلق، فإن دوره

¹ التجاني بولعالي، وظيفة الإمام في السياق الأوروبي وضرورة التجديد، الحالة البلجيكية أنموذجاً، بيت الحكمة، تطوان، 2013، ص 23.

الحقيقي ينبغي أن يكون متمركزاً في نشر القيم الإيجابية، وتعزيز الترابط الاجتماعي، وتقديم رسالة الإسلام السمحة للجميع.

فالمسجد يفتح أبوابه لكل أفراد المجتمع بغض النظر عن دينهم أو ثقافتهم أو خلفيتهم الاجتماعية، حيث يُسهم بمختلف الأنشطة الدينية التي يحتضنها، والتي تشكل خطبة الجمعة فيه العمود الأساس، في بناء مجتمع متماسك من خلال نشر العلم والمعرفة وتعزيز الأمن والأمان، ودعم قيم التسامح والاحترام، ويشكل جسراً للتواصل والحوار بين المسلمين وغيرهم لخلق بيئة من التفاهم المشترك، من أجل تقديم صورة ناصعة عن الدين الحنيف¹.

ومن أجل تحقيق هذه الغاية يتطلب نجاح المسجد في أداء رسالته الشفافية في جميع أنشطته وفتح أبوابه للجميع، تعاوناً وثيقاً بين مختلف الفاعلين من القائمين عليه وباقي أفراد المجتمع، حيث يجب أن يتحلى المسجد ومن فيه من إمام وخطيب بمبدأ الاحترام لجميع الديانات والثقافات وتعزيز قيم التسامح والتعايش، فهو يمثل شعاعاً من الأمل ومصدراً للنور والمعرفة من خلال التزامه بالانفتاح على التنوع، وتقديم قيمة مضافة للمجتمع، وتحقيق رسالته السمحة.

وبهذا سيصبح المسجد رمزا للوحدة والترابط، ونموذجاً للإسلام الحقيقي، وهنا تتجلى أهمية المسجد بصفته مؤسسة اجتماعية وثقافية ودينية يمكن أن تنهض بدور إيجابي في حياة المسلمين وغيرهم، باعتباره مكاناً لنشر الإسلام وتعليمه للناس، وذلك من خلال الدروس والمحاضرات والندوات، ومن خلال خطب الجمعة.

رابعاً: الواقع الحالي لخطبة الجمعة في أوروبا

تعود جذور الوجود الإسلامي في أوروبا إلى هجرات القرن العشرين، ومع ازدياد عدد المسلمين في أوروبا برزت حاجة ماسة لإقامة مساجد تؤدي فيها مختلف الشعائر الدينية، ومنها صلاة الجمعة. وفي البداية استقدم المسلمون الأوائل أئمة من بلدانهم الأصلية لإدارة المساجد لكن مع مرور الوقت وتطور الحالة الدينية للمسلمين في أوروبا، ظهرت فئات جديدة من الأئمة ذات الخلفيات المتنوعة، من مختلف البلدان

¹ ينظر المصدر السابق ذكره.

الإسلامية؛ كالطلاب الذين قدموا للدراسة في أوروبا، والشباب من الجيل الثاني من المهاجرين الذين تلقوا تعليماً دينياً في مدارس تابعة للمساجد. وهذا التنوع للأئمة انعكس بشكل كبير على طبيعة الخطاب الديني في أوروبا، حيث ظهرت خطب ذات طابع تقليدي، وأخرى ذات بعد سياسي واضح، وثالثة ذات نزعة عقديّة متشددة، ويواجه الكثير من الأئمة في أوروبا تحديات كبيرة تعيق فاعلية أدائهم، فمعظمهم تلقوا تعليماً دينياً تقليدياً، ما قد يعيق قدرتهم على فهم السياق الأوروبي والتواصل مع الشباب من الجيل الثاني والثالث، كما أن غياب إطار قانوني ينظم وظيفة الإمامة في أوروبا يؤدي إلى صعوبة تقييم كفاءة الأئمة، وهذه التطورات الأخيرة تشير إلى حاجة ماسة لظهور جيل جديد من الأئمة في أوروبا؛ متجدد في أفكاره متكيف مع السياق الأوروبي، وقادر على التواصل الفعال مع مختلف شرائح المجتمع الإسلامي، وهذا التنوع للأئمة في أوروبا يشكل ثروة ثقافية هائلة؛ لكنه يثير في الوقت نفسه تحديات كبيرة، تتطلب حلولاً مبتكرة لضمان استمرار الخطاب الديني متوازناً ومعاصراً¹.

ومن التحديات التي يطرحها هذا السياق تغير واقع المسلمين، حيث "شهد تحولاً جذرياً في العقدين الأخيرين في غياب مواكبة من مؤسسة المسجد، ليس على المستوى الكمي والديمقراطي فقط، بل على المستوى المعرفي والهوياتي أيضاً. ومرد ذلك إلى أن الشروط الاجتماعية والسياسية والقانونية لم تبق كما كان عليه الأمر إلى حدود أواخر القرن الماضي. لقد أصبحنا أمام أجيال مسلمة متطورة تتمتع بمختلف المهارات المهنية والتواصلية والاجتماعية"²، وتطرح أسئلة جديدة تعجز مؤسسة المسجد عن إيجاد حلول مناسبة لها، ولم يعد بإمكان أغلب الأئمة الذين وفدوا على الدول الأوروبية القدرة على مسايرتها وتقديم إجابات شافية وكافية لها، الشيء الذي أفضى إلى ظهور آفات خطيرة في الشباب المسلم بأوروبا، فمرة نجد رياح أو مبدأ اللاهوية حاضراً بقوة في وجدانهم وكأنهم بلا أصل ولا هوية، ومرة نجد بعضهم قد ارتقى في أحضان التطرف والإرهاب، بل لربما سافر إلى بؤر التوتر ونقطة اللاعودة ليحقق أو ليتمثل إسلاماً مشوهاً من كل الجوانب، وفي بعض الأحوال يعيشون مشاكل نفسية لا حصر لها ولا منتهى بسبب آفة الإلحاد أو تعاطي المخدرات أو تحت تأثير استلاب الأفكار الهدامة، وهكذا ودواليك من الآفات التي تفرض بالضرورة تجديداً لخطب الجمعة بما يتلاءم وهذه التحديات المجتمعية.

¹ عبد الكريم برمضان، خطبة الجمعة في السياق الأوروبي، الدفتر 6، منشورات المجلس الأوروبي للعلماء المغاربة، 2017، ص 9-11.

² التجاني بولعوالي، وظيفة الإمام في السياق الأوروبي وضرورة التجديد، الحالة البلجيكية أنموذجاً، ص 49.

المبحث الثاني: وظائف خطبة الجمعة في السياق الأوروبي

الإسلام في جوهره دين شامل لكل مناحي الحياة، وصالح لكل زمان ومكان، ومن مظاهر كماله هذه الدين أنه لم يهمل دور الكلمة بل حرص عليها ووجهها في إطارها الصحيح، واهتم بها فصيرها أداة من أدوات التوجيه الناعم لتربية الناس على قيم الخير والمثل العليا، وإمعانا منه في توظيف الكلمة كانت الخطابة إحدى الركائز الأساسية والوسائل المهمة في الدعوة إلى الله، ولا أدل على ذلك من أن خطبة الجمعة لازالت تؤدي أدوارا طلائعية عبر مر عصور تاريخ الإسلام، وفي مختلف الأزمان والكروب التي أحاطت بالمسلمين حتى قيل ولات حين مناص.

وإذا كان الإسلام قد أعطى كل هذه الأهمية للكلمة، وجعل من خطبة الجمعة إحدى تجلياتها، كان لازما الوقوف عند أهم الوظائف التي ينبغي أن تؤديها في السياق الأوروبي، والتي يمكن إجمالها في الآتي:

أولا: تعريف المسلمين بدينهم وثقافتهم

إن المتأمل في الأصل الذي شرع له منبر الجمعة في الإسلام، يجده موجها في المقام الأول لإرشاد الناس وتنويرهم بقضايا دينهم ودنياهم، وربطهم بخالقهم من خلال تنمية روح الإيمان والإحسان في نفوسهم، بأسلوب محفز وراقٍ، يروم تعزيز لحمتهم، ووحدة صفهم، وتصحيح الأخطاء الشائعة بينهم، إضافة إلى البعد عن كل ما يضر بوحدهم، ويبث الفرقة في أوساطهم، مع حثهم على التعاون على البر والتقوى.

ويبرز دور خطبة الجمعة أيضا؛ بالنظر إلى أنها منبر دعوي لتثقيف الناس وتعزيز إيمانهم، لتكون خطبة الجمعة منارة أسبوعية لبث العلم والخير، والدلالة على طريق الحق والرشاد والتحذير من طرائق الضلالة والغواية، وهي فرصة لخطيب الجمعة أن يلتقي بالمصلين ليحدثهم حديث القلب إلى القلب، وحديث الروح إلى الروح وإذا صاحب ذلك الجودة في الطرح والحسن في الأسلوب، والتمكن في الإلقاء آتت الخطبة أكلها، وكان مستقرها أفئدة المصلين لا آذانهم فحسب¹.

لذلك تشكل خطبة الجمعة بالنسبة للمسلمين في أوروبا أكثر من مجرد شعيرة دينية، فهي منصة تجمعهم وتوحدتهم، وتشعرهم بالانتماء إلى مجتمع واحد يتقاسمون معه قيمهم وثقافتهم.

¹ محمد بن عدنان السمان، خطبة الجمعة أهميتها ودورها في تعزيز الأمن الفكري (المفاهيم والتحديات)، المؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري، جامعة الملك سعود، من 22 إلى 25 جمادى الأولى 1430، ص 14.

ثانياً: تأكيد القيم الإسلامية المشتركة وتعزيز التماسك بين المسلمين

يتميز المجتمع الإسلامي بسيادة شعور المحبة والتآخي بين أفراده وشيوع روح الترابط والتماسك في أوساطه، وقد استمدت تلك القيم من القرآن الكريم والسنة النبوية، فالتقاء المصلين في المسجد دورياً يعمل على توطيد العلاقات، ويعزز الانسجام بينهم، ويجعل منهم قوة متماسكة ووحدة متألّفة، فحين يقابل مسلم أخاه في المسجد يتبادلان السلام والمصافحة ويتجاذبان أطراف الحديث والأخبار، فتجتمع لهما فائدتان؛ دينية ودنيوية. فالمسجد من أهم الوسائل التي تعمق الصلات بين المسلمين، وتفتح قلوبهم للمحبة والتلاقي والإيثار والتعاون على الخير، والتشاور والنصح، وتغرس بذور المحبة في النفوس وتتعهدها بالرعاية على مدار اليوم واللييلة¹.

ومما ينبغي على الخطيب وضعه في الحسبان كون الخطبة في السياق الأوروبي إلقاء خطاب في مجتمع متعدد، يتساكن ويتجاور فيه مواطنون تتميز انتماءاتهم الدينية والعرقية والثقافية بالتنوع، وقبول الآخر مهما كانت أبعاد اختلافنا معه ضرورة لا محيد عنها، وواجب لمن أراد أن يستشرف المستقبل بأمان، وهو أساس ركين للتعايش الديني، ولا تعارض إطلاقاً بين قبول الاختلاف، والحفاظ على الثوابت والهوية².

إن الأصل في الخطبة أن تدفع بالمسلم إلى الانفتاح على الآخرين، والدخول في علاقة احترام وتبادل معهم، تحقيقاً لمقصد التعارف بين الناس؛ لقول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}³.

فالتعارف هنا لا يستهدف الأمور الشكلية التي قد تكون مجرد مظاهر كاذبة تستبطن الإقصاء، والأنا المتعالية التي أشربت عقداً، إنما التعارف الحقيقي هو الذي يؤسس للمودة والألفة بين مختلف شرائح المجتمع، وهو الذي ينمي المشترك الاجتماعي الإنساني في أبعاده الكلية الأصيلة، والتي تتماهى مع فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله.

والمؤكد أن خطبة الجمعة توحد المسلمين وتحسسهم بالانتساب إلى أمة واحدة، ومجتمع واحد، ما يعزز لحمتهم الثقافية والاجتماعية، ويجعلهم كالبنيان المرصوص، والجسد الواحد الذي إذا اشتكى منه عضو

¹ عمر عبد اللاوي، دور المسجد في تشكيل الوعي الاجتماعي لدى فئة الشباب، مجلة المحترف، ع. 3، (94-102)، 2014، ص. 98.

² أبو تمره جيلالي، ضوابط التعايش الديني من منظور محمد الطاهر ابن عاشور، مجلة المعيار، مج. 25، ع. 56، 2021، ص. 175.

³ سورة الحجرات، الآية 13.

تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، كما أنها تؤدي أدوارا أساسية في ترسيخ أو اصر التعاون والتآخي بين المسلمين، بالإضافة إلى إسهامها في تقوية إحساسهم بالمسؤولية المشتركة، والمشاركة الفاعلة في أوساط استقرارهم داخل بلدان الاتحاد الأوروبي، الشيء الذي يضمن سرعة اندماجهم في كافة المناحي والأصعدة، والشيء الذي يجعل من الخطيب وسيطا استراتيجيا بين نظم وقوانين دول الاستقبال والمهاجرين. والأهم من كل هذا هو أن خطبة الجمعة تقوي في المهاجر المسلم الجانب النفسي والوجداني والسلوكي، الشيء الذي يؤهله لمواجهة أحاسيس العزلة والغربة والاستلاب الثقافي، ما يضمن توازنا روحيا ونفسيا له ولأسرته وسط سياق مضطرب لا يعترف بالروح، ويرى موت الإله فلسفة روحية، تتجاوز حقائق الكون التي تنطق وتسيح بحمد الله.

ثالثا: معالجة التحديات الاجتماعية، الإسلاموفوبيا أنموذجا

إن من أعظم المخاطر التي تواجه الأمة الإسلامية اليوم ظاهرة الإسلاموفوبيا، وهي مشاعر الكراهية والخوف من الإسلام والمسلمين، والتي انتشرت في بعض المجتمعات الغربية، وباتت تهدد التعايش السلمي بين مختلف الثقافات. وباعتبار خطبة الجمعة منبرا مهما للتواصل مع المسلمين من مختلف الأقطار، فإنها تمثل أداة فعالة لمواجهة هذه الظاهرة، لنشر الوعي حول الإسلام وقيمه السمحة، وذلك لن يكون إلا من خلال خطاب معتدل ومبني على الحقائق. فما هو دور خطبة الجمعة في التصدي للإسلاموفوبيا؟ إن نشر الحقائق ومكافحة المغالطات التي يتم بثها عن الإسلام والمسلمين، أمانة كبرى تستلزم من الخطيب ضرورة الإحاطة بها خاصة في المناسبات المهمة، التي تصادف أحداثا كبرى من تاريخ العالمين الإسلامي والأوروبي؛ لأن تصحيح وتفنيذ مغالطات الإسلاموفوبيا من شأنه أن يعطي الصورة الحقيقية للإسلام في أذهان المسلمين أولا، والذين هم بدورهم سيتحولون إلى رسل للتعريف بالإسلام الحق في أماكن وجودهم وعملهم.

الشيء الذي يحتم على الخطيب ضرورة الترشيد لمضامين خطب الجمعة في أسلوب عقلائي متزن، يجمع بين نصوص الوحي التي تدعو إلى السلم، والاعتصام بكتاب الله تعالى، وتجنب إثارة الفرقة والصدام من جهة، والواقع المرير الذي يحتف به من جهة أخرى، والذي ينتظر أي هفوة أو زلة غير محسوبة العواقب منه، قصد تضخيمها والنفخ فيها بقصد الإساءة إلى الإسلام والمسلمين، ورميهم بأبشع النعوت التي تكون في

الغالب جاهزة ومعدة سلفا، لتكون هفوة الخطيب مجرد الشرارة التي تغذيها وتضخمها، وكل هذا يُلزم الخطيب بضرورة تسليط الضوء على القيم الإسلامية السمحة، التي تدعو إلى التسامح والاحترام والعدل ونبذ العنف والكرهية والتمييز، والتعامل مع الناس بالبر والقسط والخلق الحسن، مصداقا لقوله تعالى: {وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا}¹.

ومن الأمور التي يمكن للخطيب أن يضطلع فيها بدور مهم، والتي ستسهم لا محالة في تلاشي خطاب الإسلاموفوبيا واندثاره، تعزيزه لقيم الحوار والتفاهم بين الأديان والثقافات المختلفة، ونشر ثقافة قبول الآخر واحترام الاختلاف؛ لأن في تبني الخطيب لهذا النوع من الخطاب الذي احتكره الغرب ردحا من الزمان، قطعاً لكل المحاولات البئيسة التي تحاول إظهار المسلمين بمظهر العدائية لكل مظاهر التنوع والاختلاف، الذي أقره الله سبحانه وتعالى بقوله: {وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ}².

والقرآن الكريم دائما ينشئ نفوس المؤمنين على خلق التسامح والعتو والصفح ومقابلة السوء بالإحسان ليعيش الناس في مواطنة ومواءمة تحت سقف الوطن الواحد، فالقرآن يقرر أن الناس خلقوا من نفس واحدة ليتعارفوا فيما بينهم، والتعارف يقتضي التقارب والتحاوور والمسامحة ولطف المعاملة، وإذا كان أصل الجنس البشري واحدا فلا ينبغي أن تفرق بينهم اللغات والأديان، بل تحل المحبة والتسامح والتعايش الإيجابي بين أبناء آدم الذين جمعت بينهم رحمة الإنسانية³.

وينضاف إلى القيم السابقة قيمة الالتزام بالوسطية والاعتدال؛ لما لها من تعلق بالمسلمين في ديار المهجر في المقام الأول قبل مواجهة خطاب الإسلاموفوبيا. فالأصل في تدين المسلم أن يكون معتدلا، بما يتوافق والفطرة البشرية في سلوك نهج التسديد ومعاملة الناس بالعدل، ومما ينبغي تأكيده بخصوص اعتبار هذا الأصل في إعداد موضوع الخطبة، الابتعاد عن إثارة المواضيع الخلافية في مسائل أصول الدين، وكذلك الابتعاد عن لغة التبديع والتفسيق لمن يظهر من أمرهم المخالفة في مسألة من مسائل أصول الدين أو

¹ سورة البقرة، الآية 83.

² سورة الروم، الآية 22.

³ وجدان جعفر جواد عبد المهدي الحكاك، التسامح ودوره في بناء مجتمع المواطنة، مجلة كلية التربية، ع 4، جامعة بغداد، مركز البحوث التربوية والنفسية، 2019، ص 236.

فروعه؛ لأن السياق سياق اجتماع وتوافق وألفة ومحبة، وليس سياقاً لنقل الصراعات المذهبية والعقدية المستشرية في بلدان العالم الإسلامي، ليعيش المسلم في راحة مع نفسه، وفي علاقة سلم مع غيره .

رابعاً: تقديم التوجيه الأخلاقي والنفسي للمسلمين في مواجهة صعوبات الحياة في أوروبا

إن دور الخطيب في السياق الأوروبي لا ينحصر في تلك الكلمات التي يلقيها بلا روح ولا معنى، ولا بأن يعتلي درج المنبر وينزل منه، دون أن يحتك ويقف على احتياجات رواد المركز أو المسجد الذي يخطب فيه، ودون أن يدرك مختلف المشاكل الأخلاقية والنفسية التي يعانون منها، وكذلك الأمراض الاجتماعية والقضايا المحلية، وإلا لم يكن لخطبته أي قيمة مضافة، بل عليه أن يتغلغل في معرفة الوسط الذي يعيش فيه، ويتعمق في فهم مشكلاته. وهنا تتجلى مكانة المسجد؛ ففيه يلتقي خيرة أهل المنطقة أو الجهة خمس مرات يومياً، وهنا تأتي مهمة الإمام والخطيب في تفعيل دور المسجد وإقامة الصلة ولو بصورة غير مباشرة بين مختلف مكونات المجتمع، ومن مهمة الخطيب التعرف على أمراض المصلين النفسية وعلاج هذه النفوس، وشفاء تلك القلوب من أمراضها والارتقاء بها من خلال التشخيص الصحيح لنفوس المخاطبين ليسعى في إيجاد العلاج المناسب لأمراض نفوسهم¹.

وتعدُّ صلاة الجماعة مصدر ضبط واعتدال واتزان، ووسيلة للتكيف والتطبيع الاجتماعي بتحكمها في تنظيم الوقت، وضبط السلوك وتجنب المسلم الفراغ الذي قد يجره إلى الانحراف وفي حالة غياب المسلم عن صلاة الجماعة بعد تعهدها، يتفقده إخوانه من المصلين ويسألون عن أسباب غيابه، ما يرفع وتيرة التكافل في المجتمع، وبذلك يعينونه على تجاوز الصعوبات ويساعدونه في حاجاته، ويزورونه في مرضه ويشيعونه في موته، وهذا الدفء يجده المسلم بين إخوانه عندما يكون مداوماً على صلاة الجماعة².

خامساً: بناء جسور التواصل عبر تعزيز الحوار بين المسلمين وغير المسلمين من خلال خطاب مفتوح وشامل

¹ عبد الغني أحمد جبر مزهر، خطبة الجمعة ودورها في تربية الأمة، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، 1422، ص 134.

² عمر عبداللوي، دور المسجد في تشكيل الوعي الاجتماعي لدى فئة الشباب، ص 96.

تعد خطبة الجمعة أداة قوية يمكن استخدامها لتعزيز التسامح والاحترام المتبادل بين مختلف فئات المجتمع، من خلال الخطاب الموجه والهادف، ويمكن للخطيب أن ينهض بدور مهم في بناء مجتمعات متعددة الثقافات قائمة على الاحترام المتبادل، حيث يعيش الجميع معا في سلام وأمان. وذلك لن يتحقق إلا باستثمار خطبة الجمعة في تعميق الحوار والمناقشة مع غير المسلمين، وفتح باب المسجد أمام الجميع للتعرف على الإسلام، والتركيز على القيم المشتركة بين الإسلام والأديان الأخرى كالعدالة والرحمة واحترام الانسان. والإسلام دين يحث أتباعه على تأسيس علاقاتهم مع غيرهم على التسامح واتخاذ وسيلة للحوار والجدال مع أهل الأديان الأخرى، وندبهم إلى حسن الحديث والبحث عن وجوه الاتفاق وعناصر الالتقاء والابتعاد ما أمكن عما يثير الخلاف والفرقة. وإزاء هذا التنوع الناتج عن التعدد والتمايز في المعتقدات والثقافات وأنماط الحياة دعا الإسلام إلى جعل هذا التنوع دافعا نحو التعارف والتواصل، بما يتيح تبادل التجارب وإثراء الإفادات بين بني البشر.

المبحث الثالث: سمات خطبة الجمعة الفعالة في السياق الأوروبي

إن من أهم السمات التي ينبغي أن تتوفر في خطبة الجمعة وتراعيها إذا أردنا أن تكون ناجعة وفعالة ومحققة لأهدافها ما يأتي:

أولاً: محتوى الخطاب بالتركيز على قضايا المسلمين في أوروبا

تعد خطبة الجمعة من أهم وسائل التواصل بين الخطيب والمجتمع، خاصة في المجتمعات الإسلامية وتضطلع بدور مهم في تعزيز الاندماج الاجتماعي والتعليم والتربية، خاصة في السياق الأوروبي، حيث يعيش المسلمون في بيئة ثقافية مختلفة.

فأنجح الخطب ما كانت قريبة الصلة بالواقع، تلامس هموم الناس وتحيط بما يعيشونه في واقعهم وما يلقونه من صعوبات، وما يواجهونه من عقبات وتحديات في حياتهم الفردية والأسرية، وهكذا كانت حياة الأنبياء والمرسلين، مستخلصين العبرة من قوله تعالى: {وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي

الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا¹. فالإنسان بطبعه كلما حدثته عن نفسه مال بكليته إليك، وأصغى لك سمعه، وأحضر بين يديك قلبه.

وما سبق ذكره لا يمكن أن يتحقق إلا عبر معالجة الأحداث الجارية وتقديم تحليل إسلامي متوازن لها. وذلك عبر الاستفادة الناجعة من المناسبات المختلفة وتقديم توجهات سديدة تتوافق والقيم الإسلامية المتمثلة في الحكمة وقراءة المآلات. وبصنيعنا هذا نكون قد مضينا في الطريق الأرشد نحو المحافظة على هوية الأجيال الجديدة، والتعايش مع المجتمع؛ لأنه من غير المستساغ أن يهتم الناس بقضية ما، أو يعيشون حدثا يمتد أياما أو أسابيع حتى يغدو حديث المجالس، ثم لا يكون للمسجد رسالة توجيهية تضع الضوابط والوسائل للتعامل معه وفق قاعدة المصالح والمفاسد والموازنات.

ثانيا: اعتماد الخطاب المعتدل

إن الإسلام دين يزخر بالقيم النبيلة التي تنير دروب الإنسانية، ويرسي دعائم التعايش السلمي بين الشعوب، فالإسلام يدعو إلى احترام الآخر، ونبذ التعصب والعنف، وإشاعة روح المحبة والتسامح بين جميع أفراد المجتمع. فكيف يمكن للخطيب في خطبة الجمعة تجنب الخطاب المتطرف أو التحريضي الذي قد يؤدي إلى الانقسام في السياق الأوروبي؟

يواجه الخطيب في أوروبا تحديات فريدة عند إلقاء خطبة الجمعة، حيث يجب عليه أن يوازن بين رسالته الدينية واحترام القوانين والمجتمعات المحلية، وذلك من خلال:

- التركيز على القيم الإسلامية الأساسية

يجب على الخطيب تأكيد أهمية التسامح والاحترام لجميع الناس، بغض النظر عن دينهم أو عرقهم أو جنسهم، طوإيمان بالاختلاف بحُسانه سنة كونية إيجابية وتعميم ثقافة اللاعنف ونبذ التعصب والتطرف والغلو، وبت روح الموضوعية والوسطية والشراكة والاعتدال، والعمل على تحقيق الوئام في سياق الاختلاف².

- التركيز على الوحدة والتعاون

¹ سورة الفرقان، الآية 7.

² وجدان جعفر، التسامح ودوره في بناء مجتمع المواطنة، ص 230.

يمكن للخطيب في خطبة الجمعة أن يقوم بدور مهم في تعزيز التسامح والاحترام والتفاهم بين المسلمين وغير المسلمين في أوروبا، ومنع انتشار الخطاب المتطرف والتحريضي الذي قد يؤدي إلى الانقسام، والتركيز على الوحدة والتعاون بين المسلمين وغير المسلمين، ونبذ أي خطاب ينشر الكراهية والعنف، مع البحث عن القواسم المشتركة، التي تجمع ولا تفرق بالحوار مع المخالف، من أجل التوصل إلى الحق واتباع منهج القرآن الكريم والسنة النبوية في علاج التعصب، من خلال الدعوة إلى الوحدة ولم الصف وعدم التفرقة بسبب التعصب.

- احترام القوانين والمجتمعات المحلية

يجب على الخطيب احترام القوانين والمجتمعات المحلية في أوروبا، وتجنب أي خطاب قد يكون مخالفا للقانون أو يهدد الأمن العام. فالأئمة والخطباء هم من يوجهون الناس لحب الدين والوطن ومن أدوار المسجد في تنمية قيم المواطنة في حياة المسلمين:

- تنمية عامل المواطنة وتوعية المجتمع.
- تقدير المصلحة العامة وتقديمها على المصلحة الخاصة.
- التضحية من أجل الصالح العام والعمل على احترام النظام.
- عدم خيانة الوطن وتوعية الأفراد بضرورة قبول الآخر الذي يشاطر الوطن همومه وحاجياته واحترامه والتعايش معه.
- تعزيز القيم التي هي دعائم لقيمة المواطنة التي تساهم في مكافحة الإرهاب: المساواة والعدل والحرية والانتماء والولاء والتسامح والتعايش¹.

ثالثا: لغة الخطاب

من حيث الأسلوب ووضوح الأفكار

يواجه الخطيب في أوروبا تحديا كبيرا يتمثل في إيصال رسالته الدينية إلى فئات من المصلين المتنوعة من حيث الخلفيات الثقافية واللغوية، لذلك يجب أن يكون إلقاء الخطبة مشبعا بنفحات إيمانية تجعل

¹ خديجة بوسبع، المسجد ودوره في ترسيخ قيم المواطنة، مجلة العلماء الأفارقة، ع. 4، 2021، ص 342-343.

الخطيب يلامس وينفذ إلى قلوب المصلين، ويحرك فيهم مشاعر الخير وكل ما هو نبيل، ومن الأمور التي تجعل خطبة الجمعة ناجحة في السياق الأوروبي من حيث الأسلوب والوضوح ما يأتي:

- اختيار موضوعٍ مناسبٍ لاهتمامات المصلين واحتياجاتهم.
- استخدام لغة وأسلوب بسيط ومفهوم للجميع.
- شرح المصطلحات الدينية الأساسية عند استخدامها للمرة الأولى.
- تجنب استخدام المصطلحات الدينية المعقدة التي قد لا يفهمها الجميع.
- ربط رسالة الخطبة بتجارب المصلين الشخصية واحتياجاتهم.
- استخدام القصص والحكايات لتوضيح المفاهيم الدينية.
- ربط رسالة الإسلام بقيم المجتمع الأوروبي.

استخدام اللغات الأوروبية للتواصل مع غير الناطقين بالعربية

الأصل في الخطبة أن تحضر باللغتين العربية والمحلية، فالمساجد تضم نسبة لا يستهان بها من المصلين، الذين لا يفهمون العربية وخاصة من أبناء الجيل الثاني والثالث. ومستند هذا الأمر قوله سبحانه وتعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ} ¹، ويفهم من هذه الآية الكريمة أنّ الله تعالى أرسل الرسل ليتواصلوا مع الناس بلغتهم، ليفهموا الرسالة ويستفيدوا منها، وعليه يجب على الخطيب أن يراعي هذا المبدأ في خطبه، خاصة في المساجد التي تضم مصلين من خلفيات ثقافية ولغوية مختلفة.

ومما لا شك فيه أن الخطيب الذي لا يتحدث لغة بلد إقامته يظل حبيس عجز يحرمه من القدرة على التواصل مع غير الناطقين باللغة العربية، ما يجعله يغرد خارج السرب كما يقال.

ولما كان شباب الجيل الثاني والثالث لا يفهمون العربية، فسيتجهون حتماً إلى مصادر بديلة للبحث عن المعلومة الدينية باللغة التي يفهمونها، والحال أن معظم تلك المصادر للأسف مصادر غير مأمونة أو أنها لا تتناسب مع السياق الأوروبي ².

¹ سورة إبراهيم، الآية 5.

² عبد الكريم برمضان، خطبة الجمعة في السياق الأوروبي، ص 36.

المبحث الرابع: مقترحات لتطوير خطبة الجمعة في السياق الأوروبي

أولاً: تأهيل الخطباء عبر برامج تدريبية على مهارات الخطابة والتواصل

يمكن للخطبة أن تسهم في تحقيق مقاصدها في السياقات الأوروبية، وذلك من خلال إيجاد خطاب ديني يلبي احتياجات رواد المراكز والمساجد، ويستجيب لتطلعاتهم، وهذا لا يمكن أن يتم إلا بالانفاذ إلى احتياجات الناس ومشاكلهم الواقعية، وأن يتجاوز العبارات العامة، والجمل التوقيفية، خطاب ديني ينزل النص على مقتضيات اللحظة الراهنة، ويأخذ الواقع بعين الاعتبار والفحص العميق، متجاوزاً النظرة الضيقة التي خلفتها عصور التراجع والجمود.

وعند التأمل في أغلب المراكز الإسلامية المنتشرة عبر ربوع أوروبا سنجد أنها تكتسي طابعاً اجتماعياً، وتصنف في الغالب ضمن العمل الجماعي، ما يعني أن انضمام الأفراد إلى هذه المؤسسات مقصده بالأساس نيل الأجر والثواب ونتيجة للأزمات والمشاكل التي مست العالم بسبب بروز ظواهر التطرف العنيف صارت هذه المراكز محط أنظار وتعقيدات الحياة السياسية والاجتماعية، الشيء الذي أدى إلى تحول العمل الجماعي التطوعي بهذه المراكز من الصيغة الفردية التقليدية إلى الصيغة الجماعية المنظمة. الشيء الذي مكّنها من أداء أدوار طلائعية تمثلت بالأساس في دور الوسيط مع الحكومات المنتخبة من خلال إسماع أصوات المسلمين لها بصفة منتظمة ورسمية.¹

لكن على الرغم من هذا التطور الذي شهده العمل الجماعي لهذه المراكز فإنها بحاجة ماسة إلى تطوير قدرات ومهارات التوصل لأطرها الإدارية والعلمية، وبالأخص للخطباء والأئمة، من خلال إقامة برامج تدريبية في مهارات الاتصال والتواصل؛ نظراً لما يكتسيه الاتصال اليوم من دور مهم في حياة الأفراد، بل صار ركيزة أساسية لأي نشاط مدني أو ديني أو جماعي، وذلك قصد الحد من العوائق التي من شأنها أن تحد من سيران المعلومات والأفكار وتدفعها بسهولة ويسر.²

ومن البدهي وجود معوقات ومشاكل تحد من فاعلية نشاط خطباء الجمعة في السياقات الأوروبية المختلفة والمحملة بإيديولوجيات متضاربة ومتناقضة في بعض الأحيان، ولذلك كان لزاماً الرفع من مستوى

¹ ينظر: التجاني بولعوالي، وظيفة الإمام في السياق الأوروبي، مصدر سابق.

² محمد محمود مهدي، الاتصال الاجتماعي في الخدمة الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2005، ص 28.

أداء وكفاءة الخطباء في هذا الجانب؛ لزيادة فرص التفاعل الاجتماعي وتعزيز كفاءة التواصل الهادف والموجه¹.

ولا يمكن إنجاز هذه المبادرة والبرامج التدريبية إلا بتحقيق مجموعة من المتطلبات وفي مقدمتها الآتي:

1. انتقاء أفضل العناصر للقيام بهذه المهمة الدعوية بحيث يتم رفع الحد الأدنى من معايير الانتقاء والقبول لهذه الدورات، مع تفعيل دور المقابلة الشخصية، وأن تؤخذ مأخذ الجدية وألا يتم إجراؤها بصورة شكلية، بحيث لا يلتحق بهذه الدورات إلا من يستحق ذلك وليس كل من هب ودب.

2. تطعيم هذه البرامج التدريبية بالشق العملي التطبيقي، لأنه في حال ما لو أخذت هذه الدورات الطابع التقليدي المتمثل في الإلقاء واجترار المعلومات ستكون مجرد سرديات وأدبيات تنضاف إلى الرفوف وتخزن في الذاكرة، دون أن تحقق المبتغى الأسمى منها وهو تطوير ملكة التواصل والتأثير عند الخطيب.

3. تنمية مهارات التحدث والمخاطبة على اعتبار أنها إحدى المهارات المهمة في التواصل الجماعي، لذا من الضروري تطوير هذه المهارة عند الخطباء، وتكمن أهمية هذه المهارة في أنها إحدى الركائز الضرورية في التأثير على سلوكيات الأفراد عبر استخدام جمل، عبارات، أصوات، إيماءات من شأنها أن تستميل المتلقي. فالحضور الشخصي "يعطي الصورة الكلية الكاملة الناطقة، والوقفة الجيدة تساعدك في التنفس الجيد والتعبير بصوتك واستخدام طاقتك الصوتية بطريقة جيدة... ويقلل من الحركات المشتتة للانتباه"².

4. تنمية الجوانب الواقعية في شخصية الخطيب وتشمل المناحي الآتية:
الوظائف: وذلك بتوضيح دور الخطيب داخل مجالات التفاعل الاجتماعية والطريقة الفضلى التي تعزز تأثيره في واقعه.

المهارات التفاعلية: ونقصد بها هنا مختلف الأنماط الاتصالية من أجل الرفع من فعالية الأداء داخل النسيج والرسالة الاجتماعية، وكذلك درجة التأثير في المتلقي.

¹ ساهي، علي بكاي رشيد. مهارات الاتصال والتواصل دعائم أساسية لفعالية العمل الجماعي، مجلة الحكمة للدراسات الإعلامية والاتصالية، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 212.

² راتب جليل صويص وآخرون، تقنيات ومهارات الاتصال، إثراء للنشر والتوزيع، عمان، 2008. ص 21.

الاختلافات: إن خطيب الجمعة في السياقات الأوروبية لابد عليه من معرفة الاختلافات والفروقات الموجودة بين المعاني، بناء على الاختلافات اللغوية الموجودة في الحديث، حتى لا يتم تأويل المعاني بصفة قد تشوش المعنى المقصود من أطراف العملية الاتصالية.

الكفاءة الثقافية: وهي من الأمور الأساسية التي ينبغي على الخطيب الحرص على استحضارها، لأن من أوكد الأمور التي على الخطيب احترامها في أوروبا التركيبية الاجتماعية والمتمثلة في الدين، والأعراف، والقيم، والمعتقدات، والسلوكيات. فكل هذه العناصر تدخل في بناء التركيبية الاجتماعية، وباحترام الخطيب لهذه التركيبية سيتجنب الدخول في صراع مع البناء الاجتماعي، الشيء الذي سيوفر له عاملين مهمين وهما: ثقة وتعاون باقي المؤسسات المتدخلة في تنظيم الحقل الديني في أوروبا.

مهارة الإصغاء: والتي تعني "تركيز الانتباه على آراء وأفكار ومشاعر وتعبيرات الآخرين اللغوية والجسدية وعدم الاعتماد على محتوى الكلمات ولكن الوصول إلى اتجاهات المحدث"¹. ومما لا شك فيه أن الخطيب في حاجة ماسة لهذه المهارة لما لها من أهمية في التحديد الصحيح للموضوعات التي تشغل بال المسلمين عامة، ورواد المركز أو المسجد الذي يخطب فيه بشكل خاص، حتى يقدم حلولاً ملائمة لطبيعة السياق الذي يعيش فيه، ويتيسر له انتقاء النصوص الشرعية المناسبة، والأفكار الملائمة لطبيعة وتقلبات الواقع الذي يعيش فيه.

المهارة في التصور والإدراك للقيم والاتجاهات: وهذه العناصر بمختلف تلويناتها أساسية وداعمة للخطيب في اتخاذ القرارات المناسبة لمختلف ما يعرض عليه من وضعيات، وكذلك في إدراك المواقف المختلفة والإحاطة بمختلف المشاكل التي قد تعرض له في مساره المهني والاعتيادي.

المهارة في التفاوض: ولعلها أهم مهارة يحتاجها الخطيب؛ لأن أغلب الانزلاقات مردها في هذا الشأن إلى غياب هذه المهارة عند الأطراف المتدخلة في تنظيم وتسيير المراكز الإسلامية بأوروبا، لأن التفاوض في عمقه يعني ذلك الحوار القائم بين شخصين أو أكثر وهو عملية اتصالية يهدف من خلالها كل طرف إلى الحصول على أفضل النتائج بأقل قدر ممكن من الصراعات النفسية التي تهدد الجهد الإنساني بالتشتت والضياع، ويأمل أن يقنع الآخر بما لديه من الأفكار. وتتطلب مهارة التفاوض حسن الكلام

¹ علاء محمد القاضي وبكر محمد حمدان، مهارات الاتصال، دار الإعصار العلمي للنشر والتوزيع، عمان، 2010، ص 140.

والإقناع من المفاوض ومرونته أثناء الحديث ويطلب من الشخص المفاوض الإمام بمهارات مثل: التفاوض مع شخص يستطيع صنع القرار، التحضير الجيد للأسئلة، اختيار الشخصية الأنسب للتفاوض، الهدوء والثبات أثناء التفاوض، الاحتفاظ بالأوراق الرابحة في آخر الوقت، التحلي بالمظهر الحسن، التوازن العاطفي، وغير ذلك¹.

ثانياً: توفير برامج تدريبية للخطباء حول كيفية معالجة قضايا المسلمين في أوروبا

وهذا الأمر لا يمكن أن يتم إلا بعقد دورات تدريبية للدعاة على نحو مستمر ومتنوع في ضوء مستجدات العصر، وفقه الواقع، والمقاصد، والأولويات، والموازنات، والمآلات، والنوازل، وتقدم هذه الدورات التدريبية من قبل متخصصين في مجالات علمية متنوعة، وألا تقتصر على الدراسات النظرية، بل تعتمد على الدراسة العملية كعقد الندوات وإقامة حلقات للمناقشة، وإلقاء الخطب والمحاضرات، على أن يعقد في نهايتها امتحانات نظرية وعملية، مع وضع نظام للحوافز لمن يجتازون هذه الدورات بنجاح. كما أن ما سبق ذكره لا يمكن أن يتحقق إلا بالاستعانة بمؤسسات التعليم الديني بالعالم الإسلامي، وذلك بالتنسيق من لدن المسؤولين في المراكز الإسلامية، حتى تبتعث لجان من العلماء الأكفاء ممن لهم الخبرة والتجربة والحكمة والحنكة في فهم العلوم الشرعية وتنزيلها التنزيل الصحيح الذي يتوافق والسياقات الأوروبية. ويمكن إجمال هذه البرامج التدريبية في كيفية معالجة قضايا المسلمين ذات الصلة بأوروبا.

إن من الأمور الأساسية التي ينبغي على خطيب الجمعة التنبيه لها هي وضعية المسلمين في أوروبا، وما يصحب هذه الوضعية من تعقيدات وتحديات تستلزم بالضرورة الإمام بقضايا تاريخية واجتماعية وثقافية وسياسية، وفي مقدمة هذه التحديات نجد النقص الفادح والمقصود في معلومات المجتمع الغربي عن الإسلام الصحيح، مع تركيز وسائل الإعلام على بعض التصرفات الشاذة وغير المسؤولة من أفراد مسلمين ورؤية الإسلام من خلالها. هذا إلى جانب أن المجتمع الغربي شأنه شأن المجتمعات كافة فهو ضحية توجه

¹ عبد المنعم، ياسر لمعي، مهارات واجبة للدعاة: المهارة الثالثة: مهارة التفاوض، أنصار السنة المحمدية، ع. 574، ص 41-42.

إعلامي تقف خلفه مؤسسات ذات أغراض لا تخفى على أحد، ما يسهم في خلق بيئة عدائية ضد الأقليات المسلمة في الغرب.

كما أن الربط بين الإسلام والإرهاب وصعوبة ذوبان الأقلية المسلمة في المجتمعات الأوروبية أدى إلى عدم اعتراف العديد من الدول الغربية بحقوق الأقليات الإسلامية وفرض القيود على تمثيلها في المجالس النيابية والشعبية، ما يحد من تأثيرها، وكذا عدم السماح في بعض الدول بأي مظهر إسلامي بدعوى مخالفته لثقافة وعادات وتقاليد الدولة، والتحفظ على تعليم الدراسات الإسلامية في مراحل التعليم الأولى، هذا إلى جانب قلة أماكن العبادة وانعزالها في ضواحي المدن وهوامشها، بل إن بعضها يقع في تجمعات صناعية وتجارية بعيدا عن تجمعات الساكنة المسلمة، الشيء الذي يفرض بالضرورة على المسلمين التنقل لساعات طويلة للوصول إلى المراكز الإسلامية، أما عن المشاكل الاجتماعية الناتجة عن الزواج المختلط وما يترتب عليها من مشكلات اجتماعية تنعكس على الأبناء، وما يواجه المسلمون من عمليات تنصيرية تنفذها الهيئات النصرانية وبعثات التنصير¹.

ينضاف إلى هذا كله أن المناخ الفكري والسلوكي العام، خلقيا وعقديا مناخ غير ملائم على الإطلاق إن لم يكن مناخا معاديا، والثقافة الغربية القائمة على الحواس قد بلغت مراحلها الأخيرة بين النضج والانحدار، والقيم المادية والنسبية في الأخلاق قيم راسخة القدم في الغرب، والتعصب والتحاييل ضد الإسلام منتشر وذائع، كما أن المثال الذي يعطيه المسلمون عامة لا يفيد كثيرا في تصحيح الصورة².

ثالثا: استخدام الوسائل الحديثة والترجمة

مما لا شك فيه أننا نعيش ثورة اتصالات عبر كافة الوسائل التي قربت البعيد، وكسرت احتكار السلطات للمعلومات، وتحولت فيه المعلومة إلى سلعة يتناولها الجميع حيث أضحى في متناول الجميع، ولم تعد الأمور تحت سيطرة أحد، وذهبت سلطة المنع من كافة الجهات. فخلال لحظات تستطيع أن تعرف ما يجري في أقصى الأرض وفي مختلف المجالات.

¹ أحمد محمود أبو زيد، المسلمون في أوروبا: التاريخ والأقليات، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ع. 383، ص 39-40.

² أحمد خورشيد، الظروف الموضوعية في أوروبا والدعوة الإسلامية، مؤسسة الصحافة والنشر- مكتب البعث الإسلامي، ص 19.

إن هذا الانفجار المعلوماتي والتكنولوجي كالسيل العارم جرف معه الغث والسمين، واختلط فيه الحابل بالنابل، ما استدعى ضرورة تصفية المعروض حتى لا يخلط الإنسان بين ما هو حق وبين ما ينشره المغرضون والمحللون وأهل الإشاعة والناشرون لمصائد المغفلين.

وإذا كانت وسائل الاتصال الحديثة مهمة للتحسين الفكري، فدعاة الإسلام وبالأخص الخطباء منهم ملزمون بشكل أو بآخر باستثمار كل هذه الوسائل الحديثة لإيصال صوت الحق للقاصي والداني، حيث إن وسائل الاتصال كما توظف في الأمور السلبية فإنها توظف في الإيجابيات، وهذا هو المدخل لما نسميه الإعلامي الديني الإسلامي، والذي جاء متأخرا عن إعلام الآخرين، حيث إننا وبوصفنا أمة إسلامية تخلفنا عن إعلام الحضارة وسبقنا الآخرون في التقنيات والاختراعات والتخطيط.

وإن عناية خطيب الجمعة بكل أدوات الاتصال هو الطريق الصحيح للإعلام الإسلامي، إذ لا ينبغي الاهتمام بأداة دون غيرها، فنحن اليوم أمام أدوات كثيرة منها الإذاعة والتلفزيون ووسائل التواصل والصحافة الإلكترونية والمكتوبة. وسوف أركز في هذا على وسائل التواصل الاجتماعي والترجمة بحسبانها أدوات حديثة من شأنها أن تخدم خطبة الجمعة في أوروبا.

ولعلي لا أبتعد كثيرا إذا قلت بتفوق وسائل التواصل الاجتماعي بشتى أسمائها على وسائل الاتصال الأخرى، ففيها الخصوصية والصدقة والاتصال الفردي والجماعي. فلقد صار لنا أصدقاء عبر وسائل التواصل من شتى بقاع الأرض ومن مختلف الأديان ومن الجنسين ومن مختلف التخصصات، إنها فرصة حوار الحضارات بعيدا عن صدام الحضارات الجاري منذ القدم حتى اليوم. إن هذه الوسائل المختلفة تتطلب من الجميع وبخاصة خطباء الجمعة إعداد خطاب حضاري نابع من الإسلام، يطرق العناوين الكبرى والمقاصد العليا السامية للشريعة وليس ما يفعله البعض من العناية بالأحلام والمنامات وإخراج الجن من الأجساد، أو الوعظ العاطفي، أو التعنت الفقهي أو العناية بأشراط الساعة¹.

ثم إن ترجمة الخطب إلى اللغات الأوروبية المحلية أصبح أمرا ضروريا، حيث إنها النافذة التي تفتحها ثقافة الأمة على الثقافات الأخرى للاطلاع على ما لديهم، وتوسيع مدارك المجتمع. وفي علاقتها بخطبة الجمعة في السياقات الأوروبية سنجد أن أي خطبة لا يتم ترجمتها ترجمة فورية تبقى مجرد صيحة في واد، بالنظر

¹ عبد الرزاق الدليهي، الإعلامي الإسلامي، دار المسيرة، الأردن، 2013، ص 274.

إلى أن أغلب رواد المراكز الإسلامية في أوروبا من طبقة الجيل الثاني أو الثالث وإتقانهم العربية يكاد ينعدم بأشكال متفاوتة حسب انتشارهم في الدول الأوروبية. كما أن معظم المقصود من خطبة الجمعة والعيدين وروحها، هو: الوعظ، والتذكير، والترهيب، والترغيب، وبيان الأحكام المحتاج إليها، ومن ثم فإنه لا يصح إطلاق لفظ الوعظ والتذكير على كلام حتى يكون في لغة من يعظهم الواعظ ويذكرهم. ولا يصدق أبدا معنى الوعظ والتذكير على كلمات تكون بلغة لا يفهمها السامعون.

وما سبق ذكره يفرض بالضرورة عند عدم إتقان الخطيب للغات المحلية الأوروبية استعانتة بمن سيساعده في هذا الشأن، ويسر له أمر إيصال مضامين الخطبة لمختلف الشرائح الوافدة. كما أن هذا يفرض بالضرورة ترجمة واعية، لكي تكون الجهود متكاملة ومثالية، عوضا عن العشوائية في الإلقاء وعدم مراعاة السياقات المختلفة التي تحتف بالخطيب ورواد المركز¹.

المبحث الخامس: البحث الميداني

مما لا شك فيه أن البحث الميداني يشكل الجانب العملي المعرفي للنتائج في أي دراسة، كما يسهم بشكل فعال في تقريب الواقع المراد دراسته بشكل يسمح بتشخيصه تشخيصا مناسباً وسليماً، ما يعطي للنتائج بعداً علمياً ومصداقية لدى الأوساط والجهة المعنية بموضوع الدراسة.

وموضوع البحث متصل بشكل وطيد بالواقع وبالبعد الزمكاني، الشيء الذي يفرض انطلاقه منه، وهذا لا يمكن أن يتأتى إلا بالتفاعل المباشر برواد المراكز الإسلامية من الجاليات الإسلامية المقيمة بأوروبا، والتي تمثل الفئة المستهدفة من هذه الدراسة، والتي تعكس المتغيرات الرئيسة المرتبطة بخطبة الجمعة في السياق الأوروبي.

ولتحقيق هذا المبتغى تم توزيع استبيان تضمن عناصر البحث في شقه النظري، على عينة عشوائية من الطلبة المقيمين بالديار الأوروبية، والذين يدرسون بـ"الدين، والثقافة، والهجرة"، بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، وقد تفضلوا بالإجابة عن أسئلة الاستبيان التي كانت متنوعة، ومرتبطة ببعضها البعض، بشكل يحقق الهدف المتمثل في قياس حال ووضع خطبة الجمعة في السياق الأوروبي.

¹ سوسن صالح سرية، الترجمة من منظور شرعي، الجامعة العراقية - مركز البحوث والدراسات الإسلامية، ص 206

وفيما يأتي نتائج هذا الاستبيان فيما يتعلق بتقييم الطلبة الباحثين المقيمين بدول أوروبية مختلفة لمحتويات خطبة الجمعة، ولأسلوب وطريقة عرض وإلقاء الخطيب لها، وأيضا في ما يتعلق بتأثير خطب الجمعة عليهم بشكل عام، وهل تؤدي دورها بشكل ناجع في ظل التحديات التي يفرضها هذا السياق؟ وقد تم تخصيص أسئلة موجهة ومباشرة بهدف الاستفادة من مقترحاتهم التطويرية ونظرتهم المستقبلية لهذا الموضوع.

تقييم محتوى الخطبة

21 Antworten



يتضح من الرسم البياني أعلاه حول محتوى الخطبة بشكل جلي أن معظم الإجابات المتعلقة بتقييم محتوى الخطبة تذهب إلى أنها تطرح أفكاراً بسيطة وقابلة للفهم، كما يشير اللون الأزرق 7,66%. وبنسبة أقل بكثير جاءت الأجوبة التي وصفت الخطبة بأنها غنية، وواضحة الأفكار، أو أنها مرتبطة بقضايا المسلمين، والنسبة الأقل كانت لوصف الخطبة بأنها لا تقدم حولا عملية لمشاكل المسلمين.

يوضح الرسم البياني الثاني بشكل جلي أيضاً أن معظم الإجابات 50٪، المتعلقة بتقييم أسلوب الخطبة أو الخطيب أشارت إلى استعمال اللغة العربية في خطبة الجمعة. وبنسبة أقل بكثير يأتي استعمال الخطيب للغة ثانية. وجاءت باقي الحصص وبنسب ضعيفة التقييمات الأخرى 3,5٪.

تقييم أسلوب الخطيب
22 Antworten



وبخصوص سؤال "كيف تؤثر خطبة الجمعة عليك؟" يشير الرسم البياني إلى أن حصة الأسد بنسبة 60٪ جاءت من نصيب وصف التأثير كونه وعظي، ولا يأتي بإضافات جديدة! ما تبقى من الأجوبة جاء متفرقا وبنسب صغيرة مع تميز طفيف للذين أجابوا بأن الخطبة تترك لديهم شعورا بالرضا.

التأثير العام للخطبة عليك
20 Antworten



أما عن الأسئلة الموجهة والمباشرة فقد جاءت إجاباتها على النحو الآتي:

السؤال الأول: ما الذي يعجبك دائماً في الخطبة؟

أغلب الإجابات عن هذا السؤال أكدت ضرورة أن تكون الخطبة سهلة الفهم، وبلغت واضحة، وأفكار متسلسلة، بالإضافة إلى إعجابهم بكل الخطب التي تتطرق للمواضيع الراهنة، والتي تعالج قضايا المسلمين، مع رغبة ملحّة منهم في كل الخطب التي لها اتصال بالبعد الروحي والإيماني، أو ما كان منها يخاطب الوجدان بشكل أخص، ما يؤكد تعاطفهم لإشباع الجوانب الروحية والإيمانية. أما فيما يتعلق بشخصية الخطيب فيعجبهم إذا كان مطلعاً ومنفتحاً، وبالأخص إذا كان له قدرة على التحليل والنقد البناء.

السؤال الثاني: ما الذي تجده غير مناسب في الخطبة؟

الملاحظ أن جل الإجابات ركزت على الحيز الزمني الذي تأخذه منهم خطبة الجمعة، مع تأكيد جل الإجابات على رفضهم للخطب الطويلة التي يرتجلها الخطيب، والتي تغلب عليها الاستطرادات الجانبية، واللغة العربية الفصحى التي تكون صعبة الفهم، ولعل تركيز الإجابات على عامل الزمن له ما يبرره في السياق الأوروبي، على اعتبار أن أغلب رواد المراكز الإسلامية بالكاد يسمح لهم بساعتين؛ لأجل حضور صلاة الجمعة، وتناول وجبة الغداء، وقضاء بعض الأغراض الأخرى.

ومن الأمور الأخرى الأساسية التي رفضتها أغلب الإجابات تحويل بعض الخطباء المؤدجين لمسار خطبة الجمعة عن الأصل الذي ينبغي أن يكون عليه، من الوعظ والتوجيه، والتأطير الديني بالحكمة والموعظة الحسنة، وربط الناس بخالقهم، ومعالجة قضايا المسلمين ببلاد المهجر وفق رؤية متبصرة وحكيمة تجمع بين التبصر العلمي والترشيد المنهجي، إلى مسار آخر لا يتوافق بالمرّة مع متطلبات السياق الذي يعيشون فيه، من مثل التهجم على بعض الطوائف والأحزاب، أو اتخاذها منبراً لتصفية الحسابات الشخصية الضيقة مع فئات من الناس، أو لتحقيق مآرب دنيوية.

وبالإضافة إلى ما سبق ذكره أكدت معظم الإجابات رفض الخطب المكررة، أو التي يتم إلقاؤها بسرعة، أو تلك التي يراعى فيها المستويات المتفاوتة للناس، في إشارة إلى ضرورة مراعاة الفروق الفردية لرواد المراكز الإسلامية، ما يستلزم مخاطبة الناس بما يفهمون.

السؤال الثالث: ما الذي تقترحه لتحسين وتطوير خطب الجمعة في السياق الأوروبي؟

فيما يتعلق بهذا السؤال المهم يلاحظ تحمس أغلب الإجابات لتقديم مقترحات عملية قابلة للتطبيق والتنفيذ من خطباء الجمعة في السياق الأوروبي، وتركيز الإجابات على الشق العملي في المقترحات مرده بالأساس للنظرة الواقعية التي اكتسبتها الجالية المسلمة طيلة وجودها في هذا السياق، والذي لا يؤمن إلا بكل ما هو واقعي وبرغماتي، وقابل للتنفيذ.

ومن تلك المقترحات نجد تركيز جل الإجابات على ضرورة تطوير الجانب المعرفي والمهاري في القيمين الدينين على المراكز الإسلامية، وبالأخص الخطيب، وذلك بإقامة دورات تدريبية تستهدف تطوير الحس النقدي والتحليلي في شخصيته، كما اقترحت عينة البحث أهمية التركيز على المواضيع الراهنة، التي تشكل هاجس الرواد وشغلهم الشاغل، من مثل التربية والتعليم وتعزيز الهوية والعقيدة الإسلامية، وسبل الاندماج الأمثل لهم ولأسرهم في أوساطهم المختلفة عنهم ثقافيا ودينيا وحضاريا.

أما ما تبقى من المقترحات فقد كان له علاقة بالجوانب التقنية لخطبة الجمعة، من مثل الدعوة إلى اقتراح المزوجة بين اللغة العربية واللغات المحلية الأوروبية الأخرى في إلقاءها، كما اقترح البعض أهمية التدبير التشاركي في تسيير المراكز الإسلامية بأوروبا والإشراف عليها، بحيث يفتح باب التطوير والتجديد على مصراعيه؛ لأن الجمود لا يتوافق وطبيعة السياق الأوروبي المتجدد والمتغير باستمرار.

ومن الاقتراحات التي استوقفتني كثيرا تركيز بعض الاقتراحات على ضرورة تجنب كل ما من شأنه بث روح الشقاق والنزاع والتفرقة والتحزب في أوساط الجالية المسلمة، ما يعني أن حال المراكز الإسلامية في أوروبا قد ساء لدرجة أن إدارته صارت جزءا من المشكلة، بما تسببت فيه من فوضى وعشوائية في التدبير، ما يؤثر سلبا على أدوار الخطباء والأئمة، سواء من حيث توليتهم لمن لا يستحق أمور الخطابة والإمامة، أو من خلال تحويل المراكز لأغراض تتنافى والأخلاق الإسلامية الفضلى.

خاتمة

ختاما، تعد خطبة الجمعة في أوروبا منبرا مهما للإسلام، ونبراسا يضيء دروب المسلمين، ويعزز انتماءهم إلى دينهم وثقافتهم، ويساهم في بناء مجتمعات أوروبية متعددة الثقافات قائمة على الاحترام المتبادل، وحوار الحضارات.

ويقع على عاتق الخطباء مسؤولية عظيمة، تتمثل في إيصال رسالة الإسلام السمحة، ومعالجة التحديات التي تواجه المسلمين في أوروبا، وبناء جسور التواصل بين الحضارات.

ويمكن تحقيق خطبة فعالة من خلال محتوى هادف، يركز على القضايا التي تهتم المسلمين في أوروبا، مثل الاندماج الاجتماعي، والتعليم، والتربية. وخطاب معتدل وجذاب ينأى بنفسه عن أبجديات الخطاب المتطرف أو التحريضي، مع ضرورة تأكيد القيم الإسلامية المشتركة، مثل السلام والتسامح والعدال، وكل هذا بلا شك لا يمكن أن يكون إلا بلغة واضحة، مفهومة للمستمعين من مختلف الخلفيات، مع تجنب المصطلحات الدينية المعقدة، ليكون المقصد من كل هذا تحقيق تفاعلٍ قوامه الحوار والمشاركة من خلال طرح الأسئلة والإجابة عنها، واستخدام الوسائل السمعية والبصرية لجعل الخطبة أكثر جاذبية.

وبفضل خطبة الجمعة الفعالة، يمكن للمسلمين في أوروبا أن يعززوا هويتهم، ويساهموا بشكل إيجابي في المجتمعات الأوروبية، وبنوا مستقبلاً مشرقاً قائماً على التسامح والاحترام والتعاون.

لائحة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- أبو تمره جيلالي، ضوابط التعايش الديني من منظور محمد الطاهر ابن عاشور، مجلة المعيار، مج. 25، ع. 56، 2021.
- أحمد محمود أبو زيد، المسلمون في أوروبا: التاريخ والأقليات، الوعي الإسلامي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، س. 32، ع. 383.
- أحمد خورشيد، الظروف الموضوعية في أوروبا والدعوة الإسلامية، مؤسسة الصحافة والنشر- مكتب البعث الإسلامي، 1973.
- بدر الدين الأسدي الشافعي، بداية المحتاج في شرح المنهاج، عنى به: أنور الداغستاني، دار المنهاج للنشر والتوزيع، جدة، 1432 - 2011.
- ابن الجلاب، التفرغ في فقه الإمام مالك بن أنس، عبید الله بن الحسين بن الحسن أبو القاسم ابن الجلاب المالكي، تح. سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، 1428 - 2007.
- ابن الحاجب، جامع الأمهات، تح. أبو عبد الرحمن الأخضر الأخضر، ط2، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، 1421-2000.
- ابن رشد (الحفيد)، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ط4، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1395-1975.
- ابن منظور، لسان العرب، ط3، دار صادر بيروت، 1414.
- التجاني بولعوالي، وظيفة الإمام في السياق الأوروبي وضرورة التجديد الحالة البلجيكية أنموذجا، بيت الحكمة، تطون، 2013.
- خديجة بوسبع، المسجد دوره في ترسيخ قيم المواطنة، مجلة العلماء الأفارقة، ع. 4، س. 2، 2021.
- راتب جليل صويص وآخرون، تقنيات ومهارات الاتصال، ط1، إثراء للنشر والتوزيع عمان، 2008.
- زهور محمد عبده، فقه الامام البخاري في كتاب الجمعة، الخوف، العيدين، الوتر من جامعه الصحيح، رسالة مقدمه لنيل درجه الماجستير في الفقه جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1423.

- زين الدين الرازي، مختار الصحاح، تح. يوسف الشيخ محمد، ط5، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، 1420-1999.
- علي بكاي رشيد ساحي، مهارات الاتصال والتواصل دعائم أساسية لفعالية العمل الجمعي، مجلة الحكمة للدراسات الإعلامية والاتصالية، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، ع. 12، (210-231)، ديسمبر 2017.
- سوسن صالح سرية، الترجمة من منظور شرعي، الناشر الجامعة العراقية - مركز البحوث والدراسات الإسلامية، مج. 53، ع. 3، 2022.
- شهاب الدين القرافي، الذخيرة، تح. محمد حجي، سعيد أعراب، محمد بو خبزة، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994.
- صالح بن عبد الله بن حميد، منهج في إعداد خطبة الجمعة، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، 1419.
- الفيروزآبادي، القاموس المحيط، تح. مكتب تحقيق التراث، ط8، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1426 - 2005.
- عبد الرزاق الدليبي، الإعلامي الإسلامي، ط 1، دار المسيرة، الأردن، 2013.
- عبد العزيز بن محمد بن عبد الله الحجيلان، خطبة الجمعة وأحكامها الفقهية، ط1، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف - مركز البحوث والدراسات الإسلامية، 1423-2002.
- عبد الكريم برمضان، خطبة الجمعة في السياق الأوروبي، الدفتر 6، منشورات المجلس الأوروبي للعلماء المغاربة، 2017.
- عمر عبد اللاوي، دور المسجد في تشكيل الوعي الاجتماعي لدى فئة الشباب، مجلة المحترف، ع. 3، (94-102)، 2014.
- عبد المنعم، ياسر لمعي، مهارات واجبة للدعاة: المهارة الثالثة: مهارة التفاوض، أنصار السنة المحمدية، س. 48، ع. 574.

- علاء محمد القاضي وبكر محمد حمدان، مهارات الاتصال، ط1، دار الإعصار العلمي للنشر والتوزيع - مكتبة المجتمع العربي، عمان، 2010.
- العمراني، البيان في مذهب الإمام الشافعي، تح. قاسم محمد النوري، ط1، دار المنهاج، جدة، 1421 - 2000.
- الكساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ط2، دار الكتب العلمية، 1406-1986.
- محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، تح. محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، 1422.
- محمد بن عدنان السمان، خطبة الجمعة أهميتها ودورها في تعزيز الأمن الفكري (المفاهيم والتحديات)، المؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري، جامعة الملك سعود من 22 إلى 25 جمادى الأولى 1430.
- محمد محمود مهدي، الاتصال الاجتماعي في الخدمة الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2005.
- مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تح. محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1955.
- وجدان جعفر جواد عبد المهدي الحكاك، التسامح ودوره في بناء مجتمع المواطنة، الجامعة المستنصرية، مجلة كلية التربية، ع. 4، 2019.
- أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، المجموع شرح المذهب مع تكملة السبكي والمطيعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1996.